سورة الفتح
أسرار بيانية، وإشارات نفسية تربوية

إعداد

د. لبيب محمد جبران صالح

أستاذ مساعد، جامعة طيبة – قسم الدراسات الإسلامية – المدينة المنورة

ملخص البحث

تحوي سورة الفتح بلاغات رائقة، دالة علىٰ قدرة القرآن علىٰ تطويع المفردات لتتماشىٰ والسياق العام للآيات، وتتوخىٰ هذه الدراسة العبور بالكلمة من ظواهرها إلىٰ اتضاح دلالتها، فنتجاوز بها من الظاهر إلىٰ أسرار العمق والفهم؛ لنقف علىٰ الأسرار البيانية، والإشارات النفسية والتربوية التي رسمت معالمها هذه السورة، وفي ذلك تظهر فائقية هذا الكتاب بيانيًا، واستجلاء حجيته برهانًا، في موائمة دقيقة بين الشكل والمضمون، والتي عمد القرآن إليها وتوخاها، فمن أي جانب نظرت اليه، وفي أي سياق تسمعت إليه، وقعت علىٰ سر من أسرار إعجازه، يُظهر بلاغة النظم الحكيم في أعطاف السورة قاطبة.

الكلمات المفتاحية: سورة، الفتح، أسرار بيانية، إشارات نفسية وتربوية.



المقدمة

تكاد سورة الفتح أن تستدعي معاني ألفاظها، نزولًا عند مقصد واحد، امتلئت به، وتشربته، واستوعبت معانيه البعيدة، وهو مسح الضيم عن قلوب الصحابة رضي الله عنهم، ليكون لهذا الطرح فيها، وبهذه المنهجية المنتظمة أثرٌ نفسيٌ في ثبات القلوب وانشراحها، لما قضىٰ الله سبحانه علىٰ لسان نبيه صلىٰ الله عليه وسلم في صلح الحديبية، وتطمئنهم بأقوىٰ صور التأكيد علىٰ أن ما حصل إنما هو فتح، ومن الله وحده، فتسرّي الآيات عنهم وتشعرهم بأنهم من الله بمكان، وأن عناية الله قد أحاطت بهم وما فارقتهم لحظة واحدة.

فافتتحت السورة افتتاحًا امتنانيًا لتطمين الفؤاد وقراره.

ثم أضاف الله الفتح إلىٰ نفسه، وأكده بأنه مبين ظاهر، لكنه من غير قتال ولا نزال، ثم أنزل السكينة في قلوب المؤمنين دفعة واحدة، بحيث تمكنت السكينة في جذر قلوبهم، ونفذت في أعماقهم، وغمرتهم حتىٰ أزالت ما فيها من شك أو تردد.

كل ذلك يسير في أعطاف السورة بثناء الله علىٰ رسوله وثناءه علىٰ صحابته رضوان الله عليهم.

موضوع البحث وحدوده:

تتبع هذه الدراسة أبرز شواهد البيان في سورة الفتح، بحثًا عما ورائها من أسرار تتعلق بمعاني الكلام ومراميه، سعيًا في الوقوف علىٰ فهم أسرار هذا الكتاب العزيز، ثم تتوسع في البحث عن الإشارات النفسية والتربوية الواردة في السورة، وذلك بالتسمع لهمس السياقات، وإنعام النظر في أعطاف الآيات. فقد طوّع القرآن مفرداته ليكون لها آثار نفسية عميقة، من دون قهر لهذه المعاني في سبيل تحقيق هذه الغاية.

لذلك لن أقدم بتمهيد عن سورة الفتح من حيث: اسمها، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، ومكيها ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وبعدها وذلك لسببين:

الأول: كثرة الدراسات التي تعرضت لها، فلا حاجة لتكراره.

الثاني: أن هذا لا يخدم موضوع البحث الرئيس وهو الأسرار البيانية والإشارات النفسية والتربوية.

أهداف البحث:

يكتسب البحث أهميته للأسباب الآتية:

أولًا: تحري أدبار المعاني وعواقبها وأواخرها، للوقوف علىٰ حُمولة الألفاظ الدلالية، وتجليتها في شكل منظورات لها آثارها في العقل والنفس.

ثانيًا: الوقوف علىٰ نبوض بركات هذا الكتاب العزيز، وإنما تُنال وتُلتمس ويُدخل إليها من باب التدبر، فهو (كتاب مبارك)، يحمل كثيرًا من البصائر المسددة والهادية والمرشدة.

ثالثًا: الوقوف علىٰ الإشارات والملامح النفسية والتربوية في سورة الفتح، لما لها من أثر في صناعة العقلية المسلمة الواثقة بربها ووعده. وذلك بتحصيل المقاصد السامية التي امتلئت بها السورة، لجني الثمار العليا من الآيات المرشدة.

الدراسات السابقة:

كثيرة هذه الدراسات التي تعرضت لسورة الفتح، لكنها علىٰ كثرتها فقد تعددت مناهجها في الطرح والاستنباط، ولم أقف علىٰ دراسة تناولت سورة الفتح كما عرضها هذا البحث. فكثيرة هي أسرار الكتاب، ومع كثرتها فإنها لا تتزاحم بل يكمل بعضها بعضًا.

ويمكن استعراض الدراسات السابقة علىٰ النحو الآتي:

١. التناسق الموضوعي في سورة الفتح، رسالة ماجستير، أعدها: إبراهيم مليسي، جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٤هـ.

وقد اعتنىٰ الباحث بالتناسب في نظم كلمات القرآن وجمله وآياته، وهذا ما لم أتعرض له في بحثي.

٢. سياسة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في الحرب والمهادنة، كما تصورها

سورة الفتح، أعدها: سليم الأحمدي، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٨هـ.

ولم يتفق بحثي وبحثه في شيء.

٣. منهجيات التغيير والإصلاح في سور (الأحقاف، محمد، الفتح) دراسة موضوعية، أعدها: جميلة سعيد، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٤هـ. وطرحها مختلف عن موضوعي المحدد بالأسرار البيانية، والإشارات النفسية.

٤. لمحات في إعجاز سورة الفتح، د. حسن باجودة، جامعة أم القرىٰ.

وقد تعرض في بحثه لإعجاز السورة في مجال الإنباء بالغيب، وهو مختلف تمامًا لما تعرضت له في بحثي هذا.

المناهج المستخدمة في البحث:

١. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل الآيات المتعلقة بمادة البحث من سورة الفتح، تحليلًا بيانيًا ونفسيًا وتربويًا، وذلك للكشف عن مرادات القرآن من ذلك.

٢. المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الفوائد والأسرار البيانية والنفسية الواردة في سورة الفتح.

خطة البحث:

قسمت البحث إلىٰ عدة مباحث علىٰ النحو الآتي:

المبحث الأول: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ – ٢].

المبحث الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤].

المبحث الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الفتح: ١٠].

المبحث الرابع: قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح: ١٢].

المبحث الخامس: قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الفتح: ١٥].

المبحث السادس: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح: ٢٤].

المبحث السابع: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

الخاتمة: أعرض فيها نتائج البحث.



المبحث الأول

قولــه تعــالىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ – ٢].

صُدرت هذه الآية بما يشعر بالمواساة، وبأقوىٰ صور التأكيد، ﴿ إِنَّا ﴾، أي: بعظمتنا ﴿فَتَحْنَا لَكَ ﴾، فهو تطمين علىٰ أن الذي حصل فتح، وفتح إلهي، فتسرّي الآية عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعن المؤمنين، وتشعرهما بأنهما من الله بمكان وقدر عظيم، فهما في مقام العناية والرعاية الكبرىٰ.

ويلاحظ المتتبع لهذه السورة وعلىٰ طولها ثناءً علىٰ الله، وثناء علىٰ رسوله، وتنويه بصحابته: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [الفتح: ٨]، ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ﴾ [الفتح: ٢]، ﴿فَتَحۡنَا لَكَ ﴾، قال تعالىٰ: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٥]، ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح: ٢٩]، فهي ألوان من مسح الضيم عن القلوب المؤمنة، ليكون له الأثر النفسي في الثبات، وفي مثل هذا الموقف العصيب.

واستهل الخطاب الإلهي بهذا الافتتاح ليكون دالًا علىٰ الموضوع المحور من هذه السورة وهو الفتح، فإن الصدور من الآيات محل للصدور من المعاني.

وهو افتتاح خبري مؤكد بأقوىٰ ما يكون التأكيد ﴿ إِنَّآ ﴾ المؤكدة للنسبة، أي الحكم الإثباتي في الجملة، وقدمت ﴿ إِنَّآ ﴾ وحقها التأخير حسب ترتيب المتعلقات وهو ﴿لَكَ ﴾، فالأصل: [إنا فتحنا فتحًا مبينا لك]. وقدم المختص بالفتح (لك)، لتلمح بهذه المؤيدات إلىٰ شيء ما، وتلمح إلىٰ أن المخاطبين بهذا هم في وضع يحتاجون فيه إلىٰ هذا التأنيس والتطمين.

وسر التأكيد علىٰ هذا النحو، هو إدخال المسرّة علىٰ قلب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، والزمرة المؤمنة.

﴿فَتۡحًا ﴾: تأكيد للفعل، وتأكيد الفعل المطلق إنما هو تأكيد لأصل الفعل: ﴿فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا ﴾، أي: فتحا فتحا فتحا، فتأكيد الفعل بمصدر إنما هو في قوة إعادة

الفعل ثلاث مرات، فهو بمنزلة تكرار الفعل وتأكيد لمعنىٰ عامله المذكور قبله وبمصدر صريح[١].

والسورة باعتبار المطلع خبريه، من السور المستهلة بالخبر، ومجيء الخبر في الصدر يدل علىٰ اهتمام بشأنه.

والناظر في هذا الاستهلال يجده افتتاحًا امتنانيًا يخص رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يمتن الله به عليه بمنة عظيمة إمعانًا في تطمين فؤاده.

"فصدر الآية بذكر الفتح إظهارًا للمنة، وتكملة للنعمة"[٢].

وهذا الاستهلال الخبري، نجد المسند فيه، والمسند إليه، ضمير العظمة الدال علىٰ المُعظَّم بحق في جلاله وكماله وهو الله تعالىٰ. أي: إنا بعظمتنا.

وأتىٰ بضمير العظمة ﴿ إِنَّآ ﴾، وهو ضمير المتكلم لأنه أعرف أنواع المضمر[٣]، وأعرف من المبهم[٤]، لأنه لا يشاركه فيه أحد غيره، فلا يقع فيه التباس.

فاختار ضمير التكلم المعروف عند النحاة، وهو الضمير الأعلىٰ والأرقىٰ، لأنه يشعر بالقرب من المخاطب، فأراد إسماعًا من قرب، وإعلامًا يلامس القلوب ويهمس إليها؛ وذلك ليتناسب وملابسات الحدث الجلل الذي أصابهم.

"فنزلت مؤنسةً للمؤمنين، لأنهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم، ومن تلك المهادنة التي هادنهم النبي عليه الصلاة والسلام"[٥].

عن أنس بن مالك قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية، وقد حيل بيننا وبين نسكنا قال: فنحن بين الحزن والكآبة، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

(١) انظر: الغرّة في شرح اللمع، سعيد بن المبارك بن الدهان، ١/ ١٦٨، و النحو الوافي، عباس حسن، ٢/ ٢١٠، ومعاني النحو، فاضل السامرائي، ٣/ ١٤٧.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة، يحيىٰ بن حمزة، ٢/ ١٤١.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ١/ ٢٤٥.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، ٢/ ٥٨٢، وانظر: اللمحة في شرح الملحة، ابن الصائغ، ١/ ١٢٣، والمفصل في مسائل الخلاف، الأنباري، ٢/ ٥٨٢.

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ١٢٥.

مُّبِينًا ۝١﴾، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: **(لقد أنزلت عليّ آية أحب إليّ من الدنيا جميعا)** (١).

فأسنده إلىٰ نون العظمة لإسناد الفعل إلىٰ الله خلقًا وإيجادًا (٢).

وأضاف عز وجل الفتح إلىٰ نفسه، إشعارًا بأنه من عند الله، لا بكثرة عدد ولا عدّة، وأكده بالمصدر ووصفه بأنه مبين (٣).

فكان هذا الافتتاح من الافتتاحات الرائقة (٤).

فنهضت الآية بكل هذه التأكيدات، لتدل علىٰ أن صلح الحديبية هذا إنما هو فتح، لكنه من غير قتال ولا نزال، مما يحتاج إلىٰ نوع من أنواع التأكيد بأنه فعلًا فتح، لأن فيه جنيًا لثمرة النصر من غير مؤونه النصر، ومؤونه الجهاد والاستشهاد.

"وأصل الفتح: إزالة الإغلاق، والظفر به عنوةً، أو صلحا بحرب أو بغيرها، لأنه منغلق ما لم يظفر به، فإذا ظفر به فقد فتح"(٥).

﴿فَتَحْنَا﴾: وبصيغة الماضي، وهو من باب الخروج عن مقتضىٰ الظاهر لنكته، وهي أن تخبر عن الآتي بصيغة الماضي، تريد تحقق أنه آت لا محالة، ولا شك فيه.

وصيغة الماضي تأتي أحيانًا لما هو آت.

"فأنزله منزلة المحقق، وفيه من الفخامة والدلالة علىٰ علو شأن المخبر عنه ما لا يخفىٰ؛ لأنه يدل علىٰ أن الأزمنة كلها عند الله علىٰ السواء، وأن منتظره كمحقق غيره، وأنه سبحانه إذا أراد أمرًا تحقق لا محالة"(٦). وهذا له وقع جليل من

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٢٢/ ١٩٩، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾، رقم (٤٨٣٣).

(٢) البحر المديد، الفاسي، ٥/ ٣٨٣

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ٩/ ٤٧٩.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة، يحيىٰ بن حمزة، ٢/ ١٤١.

(٥) التفسير الوسيط، مجمع بحوث، ٩/ ٩٧٩.

(٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، ٩/ ٩٨١.

البلاغة "لأن فيه إخبارًا عن الأمور الغيبية"[(١)]، "وإطلاق اسم الفتح عليه مجاز مرسل باعتبار أنه آل إلىٰ فتح خيبر، وفتح مكة، أو كان سببًا فيهما"[(٢)].

"فكانت هذه البشرىٰ بلفظ الماضي، وإن كان لم يقع؛ لأن إخباره تعالىٰ بذلك لابد من وقوعه"[(٣)].

فقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا﴾: إخبار من الله بصلح الحديبية، أو وعد وبشارة لفتح مكة، بصيغة الخبر، لإفادة تحققه كقوله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١]، أي: سيأتي، فقوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا﴾، أي: سنفتح لك، أي: وعد بالفتح، وبشارة به، فقد أخبر بوقوع الصلح، وتسميته فتحًا تفاؤلًا، وحقيقته أنه يؤدي إلىٰ الفتح، وتسمية الشيء باسم ما يؤدي إليه هو مجاز جارٍ في اللغة، فيسمىٰ السحاب مطرًا باعتبار ما يؤول إليه، ومنه قولهم "إذا نزل السحاب بأرض قوم"[(٤)].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]، وهل الخمر يعصر، إنما يعصر العنب، ولكن سمي خمرًا باعتبار المآل، "فهو عصير يؤول أمره إلىٰ خمر"[(٥)].

"فهو من تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه"[(٦)].

"لأن حال عصره لا يكون خمرًا، فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه، وفائدة هذا المجاز الإيجاز، فبدل أن يقول، أعصر عنبًا ليكون في المستقبل خمرًا، قال: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾، والقرينة الصارفة قرينة عقلية، لأن الخمر لا تعصر"[(٧)].

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة، يحيىٰ بن حمزة، ٢/ ١٤١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ١٤٥.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ٩/ ٤٧٩. وانظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٥/ ١٢٦، ونواهد الأبكار، السيوطي، ١/ ٥١.

(٤) انظر: الأصمعيات-الأصمعي، ١/ ٢١٤.

(٥) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ٣/ ٦٩.

(٦) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ١/ ٢٩.

(٧) انظر: شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي، ٣٦/ ١٠.

فتسمية الصلح فتحًا باعتبار المآل. وفيه إيحاء نفسي راقٍ؛ لتطمين الصحابة بما سيؤول إليه أمر الصلح من خير عظيم علىٰ خلاف ما كانوا يظنونه في ظاهر الأمر، ليدركوا أن حكمة الله بالغة، وأن مشيئته نافذة.

﴿ لَكَ ﴾:"وذكر لفظ (لك)؛ لبيان مقام الرسول صلىٰ الله عليه وسلم عند الله"(١).

"فأما الفتح فلم يكن لأحد غير النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فعظّمه بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾، وفيه التعظيم من وجهين: أحدهما: ﴿إِنَّا﴾ وثانيهما: ﴿لَكَ﴾، أي: لأجلك علىٰ وجه المنّه"(٢).

"وكانت هذه الآية من آية حب الله له صلىٰ الله عليه وسلم"(٣). وتكريمه إياه، واختصاصه به.

وقوله ﴿ فَتَحْنَا لَكَ ﴾: فيه حذف المتعلق، فلم يذكر المفتوح، لا بلد، ولا قلب، ولا مغلق، ﴿ فَتَحْنَا لَكَ ﴾، وحذف المتعلق يؤذن بعموم المتعلق، فالحذف للتعميم والإعظام، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ [الليل: ٥]، (أعطىٰ) ما ينبغي أن يُعطىٰ، ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾: ما ينبغي أن يُتقىٰ، فقوله ﴿فَتَحْنَا لَكَ ﴾، تشمل: القلوب، قلوب أعدائك فقبلت الصلح، وقلوب أصحابك فتعلقت بك تأييدًا في مقام البيعة، وصبرًا علىٰ مرارة في مقام يظنون باجتهاد أن الأوْلىٰ خلافه وعدم إعطاء الدنية في الدين، ﴿فَتَحْنَا لَكَ ﴾ الأرض، وسنفتحها لك، فتدخل فيها الفتوح إلىٰ يوم الدين.

"فهو فتح لا يطمع أحد من الخلائق أنه يفتح عليك أمثال ذلك الفتح، وفتحنا لك جميع أبواب الحكمة والعلوم، وجميع أبواب الخيرات والحسنات"(٤).

لذلك قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم:"لقد أنزلت عليّ آية ما يسرني بها

---

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، ٩/ ٩٨١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٨/ ٦٧، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٧/ ٤٧٩.

(٣) تراث أبي الحسن الحرالي، الحرالي، ١/ ٥٦٦.

(٤) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٩/ ٢٩١.

حمر النعم"[١].

﴿ مُّبِينًا ﴾: أي: "قضينا قضاءً محكمًا، والمعنىٰ: فتحا ظاهرًا بركته"[٢].

"فيحتمل أن يكون بمعنىٰ العطاء كقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]"[٣].

وهو أوسع عطاء وأشمله فلم يترك خيرًا إلا ودخل فيه. وإذا فتح الله علىٰ عبد دلّ ذلك منه علىٰ رضىٰ، وتجليات الرضىٰ، مغفرة، وهداية، ونصر آت بعزة.

﴿ لِّيَغْفِرَ﴾: "واللام لام الجزاء [٤]، لأن الفتح منّةٌ من الله علىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم، فجعل المنّة سببًا للمغفرة، لأن كل ما يفعله العبد من خير، فالله الموفق له، ثم يجازيه علىٰ ذلك تفضلًا بعد تفضل"[٥].

وفيه دلالة ظاهرة علىٰ تعظيم الله لأمر نبيه صلىٰ الله عليه وسلم بأن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفيه ثناء من الله علىٰ رسوله، ومع كل هذا فما يزداد الرسول إلا تواضعًا فما زهىٰ وما اغتر، غير أنه لا يملك إلا أن يفرح بمنّة الله عليه.

"فكانت المغفرة جزاء لما امتن عليه وهو قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

فالفتح من الله، والمغفرة منه كذلك، فضل بعد فضل، ولا زالت أفضال الله تعالىٰ علىٰ نبيه تترا لا تنقطع.

وفي الآية التفات له تمام البلاغ، "فقد بدأت الآية بحديث المتكلم العظيم عن نفسه، وهذا يناسب (لنغفر) و(نُتِمَّ) و(نهديك)، وجاء الكلام علىٰ خلاف ذلك، فحصل الالتفات من التكلم إلىٰ الغيبة، والفائدة: الإشعار بأن قائل: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا﴾، هو الله نفسه، والتنبيه علىٰ مقام لفظ الجلالة (الله) الدال علىٰ الذات وكل الصفات،

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، حرف اللام، ٢/ ٩١١.

(٢) عمدة الحفاظ، الحلبي، ٣/ ١٩٣.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ٢٨٦.

(٤) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ١/ ٢٤٥، وانظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ١/ ٧٦.

(٥) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ١١/ ٦٩٢٦.

والذي بيده الغفران وإتمام النعمة"[1].

لقد استعمل القرآن المفردات والحروف استعمالا أمثل لا نظير له، فقد استعمل صبغة الجمع، وأتىٰ بضمير التعظيم، فإن المقام يقتضي ذلك، ثم جاء بعد ضمير التعظيم بما يدل علىٰ الإفراد (ليغفر) حتىٰ لا يبقىٰ شيء من شائية الشرك؛ ذلك أن مغفرة الذنوب لا تكون إلا من الله وحده: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٣٥﴾.

فكان للالتفات هنا (ليغفر)، إبراز للمضمر في مقام المظهر للاعتناء بالموضوع، وتوجيه العناية إلىٰ كمال المُعطىٰ وهو المغفرة.

لقد تطلب الظرف الذي كان فيه الصحابة رضوان الله عليهم في صلح الحديبية، استدعاء كافة الحمولات الدلالية لألفاظ الآية، وحشدها متزاحمة، من أجل تطمين النفوس، وإذهاب تلك الغمة عن القلوب، فتثق بربها، ووعده، وأنه ناصر دينه لا محالة، فما كان الله ليضيع رسوله والمؤمنين، حتىٰ اتهم الصحابة عقولهم أمام حُكْمِ اللهِ وقضائه، واستطاعت الآية وبفائقية فذه أن تلهم الصحابة الرضىٰ والسكون.



(١) البلاغة العربية، الميداني، ١/ ٤٩٦.

المبحث الثاني:

قولـه تعـالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: ٤]صدق الله

"والسكينة هي الطمأنينة والثبات، من السكون، أي أنزلها في قلوبهم، والمراد بإنزالها خلقا وإيجادًا، وفي التعبير عن ذلك بالإنزال، إيماء إلىٰ علو شأنها، وأن قلوبهم مَنْزِل لها ومأوىٰ"(١).

ثم استعمل لفظ الإنزال الذي يستعمل في الدفعة الواحدة، ولم يستعمل التنزيل الذي يراد منه التدرج. فلم تتلكأ السكينة، ولم تتباطأ، بل تلقفتهم من كل مكان وأحاطتهم حتىٰ نفذت إلىٰ قلوبهم.

"واعتمد الاستعمال الاستعاري في الآية علىٰ (التجسيم الفني) لأنه أكثر جاذبية، وأعمق تأثيرًا، وأكثر إثارة للخيال، فيعرض القرآن المعاني في صورة فنية مجسمة، فالسكينة وهي شيء معنوي يصبح مادة مجسمة تنزل في قلوبهم، فيزيل ما فيها من شك أو تردد"(٢).

وكأن السكينة سحابة ونزلت عليهم واشتملتهم فلم تغادر منهم أحدًا.

واستعمل القرآن في هذه الآية حرف الجر (في)، وهو في الآية وجه من وجوه الإعجاز البلاغي، فدلالة حرف الظرفية هي التمكن والرسوخ والإحاطة، كإحاطة الظرف بالمظروف واشتماله عليه، فقد نفذت تلك السكينة إلىٰ أعماق جذر قلوبهم، واستقرت هناك، حتىٰ ملأتها طمأنينة، بل وفاضت عليهم فأحاطتهم من كل جوانبها، وكأنهم غُمروا بالسكينة وكانوا فيها، وشملتهم اشتمال الوعاء للموعىٰ فيه (٣).

فكان حرف الجر"في"أداة طيعة في التعبير عن معاني مخبوءة لا يتوصل إليها

(١) روح المعاني، الألوسي، ١٣/ ٢٤٦.

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبدالسلام الراغب، ١/ ٦٩.

(٣) دلالة حرف الجر"في"علىٰ الظرفية. انظر: من أسرار حروف الجر، الخضري، ص١٢١، انظر: الرضي، شرح الرضي علىٰ الكافية، ٤/ ٢٧٩.

بغيره، وأدىٰ مؤداه المراد وبعناية فائقة. فقد تمكنت السكينة منهم، وأغرقوا بالالتصاق بها. فجعلت السكينة ظرفًا علىٰ طريق المجاز، أي أنهم متمكنون فيها، غير منفكين عنها حيث كانت السكينة عميقة الأثر في نفوسهم، وهذا كله مما يشي به حرف الوعاء (في).

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾: "علم الله ما يكون قبل كونه، وقرن الحكمة بصنعه، وهو مبشر لكم بما لم يجعله في وقته، لما اقتضت الحكمة من تأخيره، والله حكيم في أفعاله المخصوصة بالأوقات، فيقدم ويؤخر علىٰ مقتضىٰ الحكمة لا علىٰ مقتضىٰ إرادة الخليقة"[(١)].

وإن من يتتبع ترتيب الصفات في تذييل الآيات يرىٰ عجبًا، ويوقن أن وراءها من أسرار الإعجاز ما لا تحيط به الأقلام، وتقصر عن إدراك كنهه الأفهام، فهي بحاجة إلىٰ مداومة النظر والتذرع بالصبر للوقوف علىٰ بعض أسرارها، وعدم الركون إلىٰ اليأس، والإسراع إلىٰ القول بتناسب الفواصل.

"فالقرآن يغيّر ترتيب الصفات في مشتبه النظم الحكيم، فيقدم إحدىٰ الصفتين في موضع، ويقدم الأخرىٰ في موضع آخر، وكلتا الصفتين تحقق تناسب الفواصل تقدمت أو تأخرت، مثل: العليم الحكيم، فهما من روي واحد، وهو الميم المسبوقة بياء المد، ولا تتغير الفاصلة بتغير ترتيبها، وقد اجتمعت هاتان الصفتان في القرآن الكريم ستًا وثلاثين مرة، تقدمت (العليم) في ثلاثين منها، وتقدمت (الحكيم) في ستة مواضع، وليس ثمة مجال للقول بمراعاة الفواصل.

وحين نتأمل كل موضع في سياقه نجد من دواعي النظم ما يوجب تقدم المقدم، وأي محاولة لعكس الترتيب إنما تذهب ببلاغة النظم وسر إعجازه"[(٢)].

وخير ما يقال في تعليل الجمع بين الوصفين بما يظهر بلاغة النظم الحكيم في تقدم العليم علىٰ الحكيم، أن الآية جاءت في سياق علم الله بما في قلوب أصحاب

(١) درة التنزيل، الإسكافي، ١/ ١١٩٠.

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، الخضري، ٤٦.

النبي صلىٰ الله عليه وسلم، من شك وتردد، فبدد ذلك كله بسكينة غمرت قلوبهم فاستقرت فيها، وذلك أن الحكمة تقتضي ذلك وتستدعيه.

أما الآية الأخرىٰ فقد ختمت بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح: ٧]، وجاءت بعد قوله: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦]، فذكر قدرته علىٰ عقابهم، فكان هذا المكان مقتضيًا أن يتصف الله بالقهر والعزة، والحكمة فيما يظهر من القدرة، فاتصف بالعز والحكمة لما كان في موضع القهر والغلبة.

وهذه معاني لطيفة مختبئة في أكسيتها من الألفاظ، والمتأمل لنظم الآية يتبدىٰ له السر في اختيار ذيل الآيات بما يتناسب والسياق العام للآيات، وهو تمام البلاغ بما كان عليه النظم الحكيم. وبحسن التأمل والنظر نستكشف أسرار النظم القرآني المعجز، ونقف علىٰ لطائفه التي لا تنتهي.



المبحث الثالث

قولـــه تعـــالىٰ: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ١٠].

نكث العهد: نقضه بعد إحكامه، والنكث: الخيط الخَلِق من صوف أو شعر أو وبر، وسمي نكثًا لأنه يُنكث، أي: يُنقض، وذلك أن الحبل إذا أُخْلِقَ ورَثّ نقض [١].

ونسمي نكث العهد نكثًا، تشبيهًا بنكث الحبل. ومنه قوله صلىٰ الله عليه وسلم: **(من نكث ببيعته لقي الله أجذم ليست له يد)** [٢].

وفي قولـه: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾، وعيـد ملفـوف، وفيـه تخويف لأنه أعلىٰ من الوعيد الموصوف، لما فيه من إبهام يدل علىٰ الإعظام. وهـو كقوله: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ [طه: ٧٨].

وجاء في الحديث: **(ثلاث هن علىٰ أهلها، المكر والنكث، والبغي)** [٣].

وفي الآية تعظيم للبيعة، وتحذير من نكثها.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ [٤] ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ١٠]

قرئت الهاء بالضم والكسر، ومعلوم أن الضمة هي من أثقل الحركات، وأشدها قوة، فأفادت الضـمة بـأن هـذا العهـد الـذي قطعـوه علـىٰ أنفسـهم هـو عظيـم وثقيـل،

---

(١) غريب الحديث، ابن قتيبة، ٢/ ٤١.

(٢) هو من قول علي، موقوف عليه، انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، ٣/ ٤٨، وأخرج الحسن بن أحمد المخلدي في الفوائد المنتخبة، ص٧٢٠، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (من نكث البيعة فمات وهو ناكث العهد لقي الله وهو أجذم).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه، ص٢٢٣، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: "ثلاث هن راجع علىٰ أهلها: المكر، والبغي، والنكث، ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس: ٢٣]. قال الألباني في الضعيفة برقم: (١٩٥٠): وهذا إسناده ضعيف.

(٤) قرأ حفص عن عاصم: (عليهُ الله) بضم الهاء، والباقون: (عليهِ الله)، قال أحمد: وهو قياس رواية أبي بكر عن عاصم. انظر: الحجة للقرّاء السبعة، الفارسي، ٦/ ٢٠١، والكنز في القراءات العشر، عبدالله بن عبدالمؤمن، ١/ ٢١٨، وشرح طيبة النشر، ابن الجزري، ١/ ٧٠.

ويحتاج إلىٰ تطويع النفس، وتصبيرها من أجل الوفاء به [١].

فقد كانت بيعة علىٰ الموت، وهو ثقيل علىٰ النفس تكرهه، وأن المبايع هو الله، وفيه من التعظيم والإجلال ما فيه، فجانس بين ثقل الضمة وثقل العهد الذي قطعوه علىٰ أنفسهم. "وحسَّن الضمَّ في الآية التوصل به إلىٰ تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام [٢].



(١) انظر: تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر، عادل الهور، ص٣٢.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ١٣/ ٢٥٢.

المبحث الرابع

قولـه تعـالىٰ: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[الفتح: ١٢].

"الظن هنا للشك، واستعملت بمعنىٰ العلم، لأن الظن تغليب علىٰ أحد حائزي ظاهر التجوز، فكلما قويت الدلائل والأمارات في الشيء المظنون لحق بالعلم، وإن ضعفت لحق بالظن [١]".

والظـن يطلـق علـىٰ اليقـين، ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحاقـة: ٢٠]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[البقـرة: ٤٦]، فـالظن يقين، سُمي باسم الظن لأنه لابد حين يعاين الإنسان اليقين مشاهدة أن يرتفع إلىٰ مقام آخر، فإذا بعده يقين أعلىٰ، فلما تدنىٰ نظرًا لما هو المآل لما سيكون عليه في مآل المشاهدة سمي ظنًا.

وظن السوء بالله عقيدة فاسدة يؤسس لها الوهم والنفاق، وعدم معرفة الله علىٰ ما هو به في كمالاته، والمؤمن إذا عرف ربه، يؤسس علىٰ هذه المعرفة عقيدة وظنًا بالغًا بالله.

"والظن السوء ينبع من قلوب (بور) كأرض بور لا حياة فيها ولا ثمار، فبين قلوبهم والأرض البور تشابه وصلة، فكلاهما لا حياة فيه، وكلاهما يوحي بالهلاك والفناء، فصورة القلوب البور توحي بأن الإنسان إذا انقطع عن الإيمان بالله كان ميتًا كالأرض البور"[٢].

كشفت الآيات حقيقة المنافقين، وسوء ظنهم بالله، وهو فساد ما بعده فساد، وأنه سيلحقهم أثر سعيهم، فستكون عليهم دائرة السوء يومًا ما. وتلمح الآية إلىٰ أن المؤمن خلاف ذلك، فهو يحسن ظنه بربه، ويثق به، مهما اشتدت به الظروف

(١) اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن الدقيق المصري، ١/ ٢١٤.
(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبدالسلام الراغب، ١/ ١٥٣.

وتقلبت، ففي الآية تربية وإرشاد للمؤمن أن يحسن الظن بربه، لأن هذه العقيدة تبعث في المؤمن قوة ونشاطًا على العمل، فهو يعلم أن النصر إنما هو من عند الله وحده، ينزله على من يشاء متى شاء.

"فسوء الظن بالله فيه دلالة على نفسية المنافق المريضة، لأنه غير مطمئن، ويعيش حالة من القلق والاضطراب، فيودّ نقل ذلك للمؤمنين، ببث ظنونه السيئة بينهم، وهو إنسان يحب الشر ويتمنى غلبة الكفار، ليبقى سائرًا في أهوائه دون قيد"[١].

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢]: أي: هالكين عند الله، فاسدين في علمه[٢].

"وفي الآية دلالة على رسالة رسوله في حق المنافقين، حين كان يطلع رسوله على جميع ما أسروا في أنفسهم، وأضمروا في قلوبهم؛ ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله"[٣].



(١) دلالات التعبير القرآني، أمل صالح، ٧٤.

(٢) معاني القرآن، للزجاج، ٥/ ٢٣.

(٣) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٩/ ٣٠١.

المبحث الخامس

قولـــه تعـــالىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[الفتح: ١٥].

"كشفت نفسية المنافق الانتهازية، فهو يطمع في الوصول إلىٰ المكاسب المادية، لتحقيق هوىٰ نفسه ومنفعته المادية، فإذا رأىٰ مكاسب محققة للمسلمين سارع للمشاركة.

وتبعًا لتك السلوكيات التي لم يفهم منها المنافق سوىٰ تحصيل مكاسب مادية فانية، أثبت الله لهم فهما قليلًا يناسب نفوسهم المريضة التي لا ترىٰ إلا دائرة المصالح والمنافع العاجلة الفانية، لضعف بصيرتهم، وقلة إدراكهم حقائق الأشياء. ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الفتح: ١٥] [١].

فالذين يقفون عند الظواهر والماديات والسطحيات، ولا ينفذون إلىٰ هذه المقاصد، ولا يعلمون أن للإيمان شأنا غير شأن هذه التي يرونها، فإنهم ليسوا علىٰ فقه من ربهم، ولا من دينه. وأن الذي لا يفقه مرادات ربه، فهو جاهل ولو ملك العلوم قاطبة. فعلمهم هو عدم وهو حقيقة الجهل؛ لأن ثمرة العلم هي معرفة الله وتعظيمه.

فقوله: ﴿ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: إلا عدما، وإطلاق القلة علىٰ العدم كثير، قلما يفعل، أي: لا يفعل، ولذلك أطلق القُل بالضم علىٰ العدم، يقولون: فلان في قُلّ، أي: في عدم [٢].

أو لا يفقهون إلا فقهًا ظاهرًا، وقلته أنه لا ينفذ إلىٰ حقيقة الفقه.

---

(١) دلالات التعبير القرآني، أمل صالح، ص٦٧. وانظر: القرآن وعلم النفس، نجاتي، ص٢٤٧.

(٢) ومنه الحديث (أنه كان يقل اللغو)، أي: لا يلغو أصلًا، وهذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء، كقوله: ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[البقرة: ٨٨]. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب: قلل، ٤/ ١٠٣، وتاج العروس، الزبيدي، باب: قلل، ٣٠/ ٢٨٠.

المبحث السادس

قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح: ٢٤].

جاء هنا بالبصر دون الخبرة، لأن تذييل الآي إنما يكون بالاسم المناسب للإرشاد إلىٰ أن المذكور إنما هو أثر لهذا الإسم.

ذلك أن ما حصل من أحداث في الحديبية، أحداث مبصرة مرئية مشهودة، مدركة بالظاهر. ولما تحدث عن المخلفين، والمعاني السرية، والإرادات المطوية، قال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

واستحضار بصر الله، كعلم الله بالباطن تمامًا، فلا يخفىٰ عليه شيء، واليقين بهذا له ثمرته في عقيدة المؤمن، فالله خبير بنا حين نختفي، وبصير بنا حينما نظهر، وكلاهما عند الله سواء.

فجاء ترتيب الألفاظ علىٰ وفق ترتيب المعاني، فنتصور المعاني بما يواكب ظلالها في الألفاظ.

وهذا ما يهدف إليه النظم الحكيم من الجمع بين تناسب المعاني وتناسب الألفاظ.

وإعجاز القرآن يتجلىٰ في هذه المؤامة الدقيقة بين جمال الشكل والمضمون، ليتحقق بها التناسب بين الفواصل، في نفس الوقت الذي يتحقق فيه التناسب بين المعاني.

ولا يكون ذلك إلا بإمعان النظر في أعطاف السياقات، وتدبر أواخر الآيات، وعدم الوقوف عند ظواهرها.

المبحث السابع

قوله تعالىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

الآية الخاتمة تذكر بلب اللباب بالنسبة لموضوع السورة، وتتفق مع المطلع بشكل دائري، فينعطف المدخل مع الختام باتساق تام.

ففي الآية تنويه بالمفتوح لهم، والمفتوح بهم، وصدر السورة تناول الفاتح وهو الله، وتناول الفتح المبين، فكأن سائلًا يسأل: من المفتوح لهم؟ فجاء الحديث: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩].

وترشد الآية الخاتمة بعد آية التمكين والظهور قبلها: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ ﴾ [الفتح: ٢٨]، لتبين أن ظهور هذا الدين وعلوه ووصول نوره إلىٰ الناس إنما يحصل بمؤهلات هذا مثالها ونموذجها، وهم أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، وهم يمثلون ظل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وامتداده، وغراسه التي غرسها فأثمرت، وتبدّت في الذين زكاهم.

فقد اكتسبوا أوصافهم من هذه الصحبة، ومن هذه المعية، فجاؤوا بهذا الكمال النفسي الراقي.

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]:

امتدح المؤمنين بالشدة علىٰ الأعداء، ووصفهم بأبلغ الصيغ الواردة في وصف الشدة ﴿ أَشِدَّآءُ ﴾، وناسبها أن يأتي بأقوىٰ مباني الكفر وهي ﴿ ٱلۡكُفَّارِ﴾، لتكون الشدة دالة علىٰ أبلغ مراتب الشجاعة والثبات في مواجهة أعتىٰ الناس كفرًا وحربًا

علىٰ المؤمنين، إذ لا تمتدح الشجاعة إلا حين تكون المنازلة بين الأقران والأنداد.

والشدة هنا من الغضب المحمود،"والغضب انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان، حيث يساعده علىٰ حفظ ذاته، فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته علىٰ القيام بالمجهود العضلي العنيف، مما يمكنه من الدفاع عن النفس، أو التغلب علىٰ العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه الهامة، وقد نوّه القرآن باستخدام الشدة مع الكفار الذين يقاومون انتشار الإسلام، وهي شدة نابعة من الغضب في سبيل الله، فقال في وصف الرسول ومن معه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ (١).

"ويُعلم من المدح علىٰ اللين في موضع، ومن الأمر بالغلظة في موضع آخر، أن الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه، وأن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان"(٢).

"ويفهم من الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين. إلا في الوقت المناسب للّين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محل الشدة ضعف وخور، والشدة في مكان اللين حمق"(٣).

"وقابل القرآن بين الشدة والرحمة، علىٰ أن الرحمة ليست ضد الشدة وإنما ضد الشدة، اللين، إلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين، حسنت المقابلة بينهما وبين الشدة، فالرحمة هي لين القلوب وتعطفها"(٤).

ثم لا يخفىٰ ما في تنكير ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ﴾ من تفخيم وتعظيم، واستعمل رحماء وهي صيغة مبالغة من رَحِمَ: أي: كثير الرحمة والشفقة.

﴿تَرَىٰهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]: وفيه إشارة إلىٰ أنك متىٰ أردت أن تراهم تراهم ركعًا سجدًا، ففي اختيار صيغة المضارع لتدل علىٰ أنهم دائمون علىٰ هذه الصلة بالله،

---

(١) القرآن وعلم النفس، د. محمد نجاتي، ص٧٩.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٢/ ٢٩٣، وانظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبدالرحمن السعدي، ١/ ٣١٢، والعذب النَّمير، الشنقيطي، ٢/ ١٥٢.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ١/ ٤١٥.

(٤) المثل السائر، ابن الأثير، ٣/ ١٥٢.

دوام في العبادة والذكر.

"فأخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها"[(١)].

"فإنك ترىٰ هاتين الحالتين كثيرًا فيهم"[(٢)].

فالتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم، وكأنهم يقضون زمانهم كله ركعًا سجدًا.

"فإيثار صيغة المضارع للدلالة علىٰ تكرر ذلك، وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم علىٰ أفضل الأعمال المزكية للنفس"[(٣)].

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح: ٢٩]:

وفيه إشارة إلىٰ معنىٰ لطيف وهو أن الله قال ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾، ولم يذكر الأجر؛ لأن الله تعالىٰ إذا قال لكم أجر، كان ذلك منه تفضلًا، وإشارة إلىٰ أن عملكم جار علىٰ ما طلب الله منكم، لأن الأجرة لا تستحق إلا علىٰ العمل الموافق للطلب من المالك، والمؤمن إذا قال: أبتغي فضلك يكون منه اعترافًا بالتقصير، وأنه لم يعتدّ بعمله، فقال: (يبتغون فضلًا من الله)، ولم يقل أجرًا[(٤)].

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الفتح: ٢٩]:

مثلهم في التوراة متعلق بكثرة العبادة، وهو ما يفتقده اليهود لتعلقهم بالدنيا، والنصارىٰ أهملوا الدنيا وترهبوا، فذكرهم بما ينقصهم من عمارة الأرض والتآزر والتعاون علىٰ العمل.

فوصفهم في التوراة غيره في الإنجيل، فصورتهم في التوراة صورة المتبتل الخاشع، وصورتهم في الإنجيل صورة المتكتل المتواضع.

فالتبتل قمة الصلة بالله، والتكتل قمة إخوة وتواصل ومحبة، وكأن هذين

---

(١) معالم التنزيل، البغوي، ٤/ ٢٤٤.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ١٣٩.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ٢٠٥.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٨/ ٨٩، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٧/ ٥١٨.

النموذجين غائبان في الملتين اليهودية والنصرانية، فجاءت رسائل الله إلىٰ الأمتين بهذه الأمثلة لمعالجة آفة حاصلة فيهم، فيقدم لهم نموذج الكمال المفتقد. وما كان هذا النموذج الكامل إلا في صحابة رسول الله صلىٰ الله عليهم وسلم فقد اختارهم الله لصحبة نبيه.

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩]:

شطءُ الشجر: ما خرج حول أصله، وأشطأ الزرع إذا فرّخ، وأشطأ الرجل: بلغ ولده مبلغ الرجال فصار مثله [١].

وقيل: شطأه: السنبل، تنبت الحبة عشرًا وثمانية وسبعًا، فيقوي بعضه ببعض [٢].

وهو ما خرج من حول الأصل [٣].

(فآزره): قال الزجاج: آزر الصغار الكبار، حتىٰ استوىٰ بعضه ببعض [٤].

(فآزره): ستره وأعانه وقوّاه، قال المبرد: يعني أن هذه الأفرخ لحقت الأمهات حتىٰ صارت مثلها [٥].

(فآزره): علىٰ قراءة الجمهور من المؤازرة بمعنىٰ المعاونة والتقوية.

وأما علىٰ قراءة ابن ذكوان: فأزره بلا ألف، فالمعنىٰ: شدّ أزره أي: قواه. ومنه: ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ ﴾ [طه: ٣١] [٦].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، فصل الشين المعجمة، ١/ ١٠٠. وانظر: جمهرة اللغة، الأزدي، باب شطن، ٢/ ٨٦٨.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري، باب الشين والطاء، ١١/ ٢٦٩.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ١٨٥.

(٤) نهاية الأدب في فنون الأدب، أحمد البكري، ١١/ ٦.

(٥) التفسير الوسيط، الواحدي، ٤/ ١٤٦. وانظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي، ٦/ ٢٠٤.

(٦) أضواء البيان، الشنقيطي، ٧/ ٣٩٨. وانظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي، ٦/ ٢٠٤، وتحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ص٥٦١.

﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ [الفتح: ٢٩]: لأن الزارع لا يزرع الحشائش، وإنما يزرع ما ينتفع به هو، وينفع الآخرين، فهم يزرعون وينتقون ما يزرعون [١].

ضرب المثل في الإنجيل للنبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه بأنهم كالزرع يظهر في أول نباته رقيقًا ضعيفًا، متفرقًا، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتىٰ يقوىٰ ويشتد، وتعجب جودته أصحاب الزراعة العارفين بها [٢].

فهم كانوا يكونون قليلًا، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون، فهم كأنما ينبتون نبات الزرع.

وفيه إشارة تربوية: بأن هذه الأشياء إنما تحصل بألوان من الكسب، وألوان من التزكية والمتابعة، ولا تقوم بين عشية وضحاها، وتحتاج إلىٰ تعهد ورعاية. كالنبتة تمامًا والتي ضرب بها المثل.

وفي الآية ملمح كذلك إلىٰ ما ينبغي أن تكون عليه هذا الأمة، إن أرادت أن تكون الأمة الوارثة، فعليها بالتبتل والتكتل، عبادة وخلق، وبها تنهض الأمة وتستقيم، وبترك أحدهما فإن الأمة لن تبعث من جديد.

❖ نلحظ في ترتيب إيقاعات السورة كلها أنها جاءت لتتماشىٰ والغاية من هذه السورة، فكل إيقاعاتها لدفع آهات الاكتئاب والحزن الذي حل بالصحابة في منصرفهم من الحديبية، وقد أحسّوا ببعض الحيف والظلم فيما وقع في عقد الصلح، وهو إيقاع واحد ووحيد في كل السورة ولم يتخلف. وهو مدّ الألف. (حكيما، عليما، قديرًا...).

"وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورًا تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقىٰ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب"[٣].

---

(١) لمسات بيانية، السامرائي، ١/ ٢٥٨.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ٧/ ٣٩٨.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ١/ ١٥٠.

الخاتمة

تتبع هذا البحث المادة البيانية، والملامح النفسية والتربوية في سورة الفتح، فقد تبدت هذه الملامح ملمحًا ظاهرًا مقصودًا في السورة الكريمة، حتىٰ غدت مقصدًا من مقاصدها.

وقد أثبت هذا البحث أن المفردة القرآنية تطوعت طواعية ودون إلجاء، لتتماشىٰ والسياق العام للآيات، فقد تجاوزت المفردة القرآنية الظواهر والأشكال، إلىٰ العبور واتضاح الحُمولات الدلالية لها.



المصادر والمراجع

١. اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن الدقيق المصري (٦١٢هـ)، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢. إرشاد العقل السليم، محمد بن محمد أبو السعود (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.

٣. الأصمعيات اختيار الأصمي، عبدالملك بن قريب (٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف مصر، ط٧، ١٩٩٢م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (١٢٩٢هـ)، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥هـ، د.ت.

٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفىٰ صادق الرافعي، دار الكتب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ.

٦. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، عبدالرحمن بن محمود الأنباري (٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عمر بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩. البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن الميداني (١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضىٰ الزبيدي (١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د.ت.

١١. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد الماتريدي (٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٢. تحبير التيسير في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تحقيق: د. أحمد القضاة، دار الفرقان، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣. تحرير التحبير، عبدالعظيم بن عبد الواحد بن أبي الأصبع (٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.
١٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (١٢٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، د.ت.
١٥. تراث أبي الحسن الحرالي، علي بن أحمد الحرالي (٦٢٨هـ)، منشورات المركز الجامعي، الرباط، ط١، ١٤١٨هـ.
١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي (٧٤١هـ)، تحقيق: د.عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١٧. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي (٧٤١هـ)، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١٨. تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر، رسالة ماجستير، عادل عبدالقادر الهور، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٢هـ.
١٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٢٧٣هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (٢١٠هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٢. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد الشيباني، ابن الأثير (٦٢٧هـ)، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.
٢٣. جمهرة اللغة، محمد بن الحسين الأزدي (٢٢١هـ)، دار العلم للملايين،

بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٤. الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٩٣م.
٢٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٧٥٦هـ)، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.
٢٦. درة التنزيل وغرة التأويل، محمد بن عبدالله الإسكافي (٤٢٠هـ)، جامعة أم القرىٰ، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٧. دلالات التعبير القرآني ودورها في التحليل النفسي لشخصية المنافق، د.أمل إسماعيل، دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤٣٥هـ.
٢٨. روح البيان، إسماعيل حقي (١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٢٩. روح المعاني، محمود بن عبدالله الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٠. شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي: http://www.alhazme.net
٣١. شرح الرضي علىٰ الكافية، تعليق: يوسف عمر، ط١، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٦م.
٣٢. الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس الرازي (٢٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
٣٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيىٰ بن حمزة العلوي (٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٥. العذب النمير، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (١٢٩٢هـ)، دار عالم

الفوائد، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٣٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (٨٥٠هـ)، تحقيق، زكريا عميدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٧. الغرة في شرح اللمع، سعيد بن المبارك بن الدهان (٦٦٩هـ)، دار التدمرية، ط١، ٢٠٠١م.

٣٨. غريب الحديث، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٢٩٧هـ.

٣٩. القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشرف، القاهرة، ط٧، ١٤٢١هـ.

٤٠. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ.

٤١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٢. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي (٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٣. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٤. اللمحة في شرح الملحة، محمد بن حسن ابن الصائغ (٧٢٠هـ)، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٥. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي، تفريغ لحلقات تلفزيونية.

٤٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن

محمد (٦٢٧هـ)، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب ابن عطية (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٨. معالم التنزيل-الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (٥١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٩. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٠. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٩٧٩م، د.ت.

٥٢. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥٣. المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٥٤. من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، محمد الأمين الخضري، ١٩٩٤م، د.ت، ودون دار نشر.

٥٥. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت.

٥٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب البكري (٧٢٢هـ)، دار كتب القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن محمد ابن الأثير (٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

٥٨. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي علىٰ تفسير البيضاوي، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة أم

القرىٰ، ١٤٢٤هـ.

٥٩. الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب القيسي (٤٢٧هـ)، كلية الشريعة، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٦٠. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٦١. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبدالسلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات، حلب، ط١، ١٤٢٢هـ.

